

خاتمة

تجارة الحرب

في مجال الحرب، يمتلك الأمريكيون تقدماً لا يمكن إنكاره. علاوة على تفوقهم اللوجستي والتقني الذي لا يعترض عليه أي شخص، يكمن هذا التقدم على مستوى الفكرة التي يكونونها عن القوات المسلحة وعن الطريقة التي يديرون بها حملاتهم العسكرية. تقدم هائل ظهر عندهم: "جيوش المرتزقة" أو، بصورة دقيقة، ما هو متفق على تسميته من باب الحياء والحشمة بـ"الشركات العسكرية الخاصة"، المعروفة بالإنجليزية تحت مسمى "المقاولين" غير أنهم يُوصفون من باب السخرية والاستهزاء باللصوص لكونهم يتلذذون بالمخاطرة والاستغلال.

شهدت ظاهرة خصخصة الجيوش انطلاقة لا مثيل لها من خلال حرب العراق. بالتأكيد، شهدنا هذه الظاهرة في أفغانستان سابقاً، ولكن كان نشاط الشركات الخاصة مقتصرًا بمجمله على الجزء اللوجستي وعلى توفير الخدمات الإضافية مثل الصيانة أو التموين. في العراق، ذهبت الشركات العسكرية الخاصة إلى المرحلة العليا وذلك بتوفير وظائف كانت مخصصة في السابق للجيوش النظامية مثل توفير الأمن للمواقع الحساسة، وحماية الشخصيات، وحتى صياغة وتحرير المذهب العسكري ضد المذهب الثوري.

على مستوى الأرقام يوجد في العراق متعاقدون خاصون أكثر من جنود في الجيش. وإذا استندنا إلى المعطيات الرسمية، يمثل هؤلاء المتعاقدون أهم الخسائر الأمريكية. ومن ذلك على سبيل المثال، "اللغويون" الذين يعملون لصالح الشركات الخاصة، سواء كانت عسكرية أو مدنية، لا يكونون في عداد الرقم الإجمالي لضحايا الحرب، لكون أغليتهم عراقيين أو من جنسيات أخرى بعقد من الباطن مع الحكومة الأمريكية.

في مجال الاستخبارات حلت هذه الشركات الخاصة كلياً محل القوات المسلحة المتعارف عليها. ليس موظفوهم الذين ليست مهنتهم عسكرية هم من يقومون بجمع المعلومات الحساسة، ومعالجتها، وترجمتها فحسب، ولكنهم يعملون أيضاً "مساعدين" لرجال وكالة الاستخبارات المركزية الحكوميين، ولوكالة الاستخبارات التابعة لوزارة الدفاع، وللاستخبارات الجيش وللاستخبارات القوات الجوية، وللاستخبارات البحرية، وأيضاً لاستخبارات منسوبي البحرية.

بعض المترجمين يتحملون كامل مسؤولية الاستخبارات في الميدان. ويُعد هذا التطور حساساً للغاية كما هو حال الشركات الخاصة المختصة تقليدياً في التأهيل والدعم اللوجستي التي أنشأت من العدم قسماً خاصاً يقوم بعمل الاستخبارات. بذلك، كسبت إحدى الشركات العسكرية الخاصة المهمة للغاية DynCorp التي كانت تقوم بصورة رئيسة بتأهيل القوات البرية في أفغانستان، كما قيل ذلك، عقد باهظ بقيمة ٤,٦ مليار دولار للترجمة.

وينص العقد خاصة على توظيف أكثر من ٦,٠٠٠ آلاف مترجم خلال سنتين للشرق الأوسط وما يقارب ١,٠٠٠ مترجم تحريري لأفغانستان، ناهيك عن الخدمات اللغوية الإضافية مثل الأجهزة المحمولة التكنولوجية أو أدلة التأهيل. إلا أن شركة DynCorp ليست شركة صغيرة: فهي توظف أكثر من ١٤,٠٠٠ مرتزق في العالم.

لكن الشركة بكسب عقد الترجمة هذا حققت دجماً شاملاً لخدماتها. بذلك تستطيع تقديم كل أنواع الخدمات التي يحتاجها جيش نظامي. حتى إنها تستطيع شن حرب دون صعوبة بدلاً من الجيوش الوطنية. فضلاً عن ذلك، لا يخفي رؤساؤها تطلعاتهم؛ حيث يتمنون كسب عملية استمرار السلام والعمل بعقد من الباطن مع منظمة الأمم المتحدة في وقت قادم، أو المشاركة في عمليات مكافحة الارهاب في

أفريقيا وفي آسيا. لأنه عند الشركات العسكرية الخاصة، تعد بلاد مثل صوماليا و كينيا أو بلاد أفريقيا جنوب الصحراء عبارة عن إلدورادو الاحلام^١ ...

وهذا الأمر غير مستبعد البتة. فقد قامت شركة DynCorp و Balckwater بتدريب بعض المجموعات المسلحة في بلاد أفريقيا للتصدي للتهديد الإرهابي أو أيضاً للمحاولات المتكررة الإبادية لبعض قادة الحرب. حتى إن بعض الشركات العسكرية الخاصة قادرة على شن عمليات عسكرية واسعة النطاق، نظراً لعدد الطيارين المعتادين على الصعاب والأخطار وطيايري الطائرات المقاتلة الحديثة التي تمتلكها، على سبيل المثال أكثر من ٢٠٠ طائرة تعود ملكيتها لشركة ATSI. فهذا أكثر من أي دولة أفريقية... هذا التزايد القوي للشركات العسكرية الخاصة جلي مثل وضوح الدولة الغربية وليس أقل بمنحها لهم عقودا باهظة التكلفة مقابل تقديم خدمات كانت حتى ذلك الوقت من صلاحيات الجيوش المحلية. بذلك وفي عام ٢٠٠٧م قامت بريطانيا العظمى بالاستعانة بمصادر خارجية لتأهيل طيارها الحربيين بتكلفة مقدارها ٦ مليار جنيه استرليني. غير أن استراليا ذهبت أبعد من ذلك بتفويضها مراقبة الحدود لشركة خاصة خلال الاثنتي عشرة سنة القادمة.

وهكذا، دخل العالم الأنجلوساكسوني دون صعوبة تذكر في حقبة الجيوش الخاصة. ومن باب المفارقة، الأمم السابقة الأوروبية مازالت تناقش التجنيد الإجباري وجعل الجيوش مهنة. وهذا التفاوت في التصورات والروى له انعكاسات كبيرة: الأول هو أن الدول الأوروبية، على قائمتها فرنسا، شبه غائبة عن هذه الصفقة الجديدة

^١ إلدورادو (بالإسبانية: El Dorado) (وتعني المذهب) هو الاسم الذي أعطي في البداية للدلالة على ملك أو زعيم كهنة في إحدى قبائل أمريكا الجنوبية والذي يقال: إنه يغطي نفسه بغبار مدينة أسطورية تدعى مانوا Manoa أو أوموا Omoa في أرض خرافية حيث يوجد بها الذهب والأحجار الكريمة بوفرة تفوق الوصف. خلال هذا الوقت تحول اسم إلدورادو ليصبح رمزا لكل مكان حيث يمكن اكتساب الثروة السريعة. المترجم.

والعملاقة والواعدة ، والثاني أن شركات القارة العجوز في الواقع تتأخر عن غيرها في صناعة الخدمات العسكرية التي توفر بذلك حقولا ضخمة لفرص العمل.

والأسباب الرئيسة لهذا التأخر ذات طابع سياسي "مواطنة ودفاع محلي" ، وأخلاقي "تخصيص الاستخدام الشرعي للعنف" ، في حين أنه من جهه العالم الانجلو ساكسوني، فإن الأسئلة المطروحة هي ذات طابع نفعي "فعالية وتقليل التكاليف" وقانوني "تنظيم ، واحترام حق العمل ، وإدارة الجودة".

هناك أخيراً جانب ثقافي؛ حيث يعرف كل الذين لديهم في أوروبا شيء من الثقافة والذاكرة أن ظهور حركة المرتزقة ملازمة في التاريخ الحديث _ لضعف الدول والجيوش. كما أنهم يتذكرون فترة "سباق" و "رخص الحرب للسفينة" الممنوحة من قبل الزعماء الأوروبيين في عصر القراصنة...ولكن من المعروف جيداً، أن الولايات المتحدة أمة شابة تظهر حسنات الشباب وأيضاً عيوبه...

يبقى سؤال جوهرى يخص العراق. ماذا يعمل آلاف العمال العراقيين الذين وظفتهم الشركات الأمريكية الخاصة والذين يعدهم أبناء جلدتهم العراقيون أكثر مما مضى على أنهم "خونة"؟ كيف يؤمنون نجاتهم والأمن لهم في حالة انسحاب أو تغير النظام؟ تبقى هذه أسئلة قيد الاجابة.

في عام ٢٠٠٧م، نظمت الكتبية الدنماركية المتمركزة في مدينة البصرة، عند انسحابها من العراق، مهمات خاصة لترحيل "عمالئها" العراقيين. وبهكذا، في شهر يوليو عام ٢٠٠٧م، أتاحت رحلتان إخلاء ٦٩ مترجماً فورياً، وفي شهر أغسطس في السنة نفسها نقلت طائرة إلى كوبنهاجن ٢٧ مترجماً تحريريا قادمين من العراق. كان جميعهم برفقة عوائلهم : مجموعهم ٤٠٥ شخص لكتبية دنماركية كانت تضم ...٤٦٠ جندي.

غير أن اللاجئين العراقيين لم يتوقفوا عن التدفق بفضل الإشاعات. لأن عمليات "الإنقاذ" هذه لا سابق لها في إطار انسحاب الجيوش. فهم في الوقت نفسه يطرحون قضايا أخلاقية وأمنية. هل يستحق الذين يعتبرهم أبناء جلدتهم "خونة" معاملة حسنة من طرف المحتلين السابقين لبلد؟ في الدنمارك، كان النقاش طويلاً وقاسياً قبل قبول هؤلاء اللاجئين. ومنذ استيطانهم، و بعض منهم أحيل إلى القضاء بسبب تعدد الزوجات ورفضهم للخضوع.

إلا أن الدول الأوروبية الأخرى تشهد المشكلة نفسها. إذ تواجه بريطانيا العظمى انهماكاً كبيراً لطلبات اللجوء المقدمة من لاجئين عراقيين لا ذوا بالفرار من بلدانهم، وأحياناً يكونون برفقه زوجاتهم وأطفالهم.

إن بولندا التي قد أرسلت ٩٠٠ جندي إلى جنوب العراق في الحلة، تمنح بالقطارة اللجوء السياسي إلى "المعاونين" الذي سبق لهم العمل في هذه الكتائب.

إلا أن الوضع يعد مقلقاً للغاية في الولايات المتحدة. في عام ٢٠٠٧م، منحت الحكومة الأمريكية ٧٠٠٠ تأشيرة إلى العراقيين الأكثر تعرضاً للتهديد، غير أن آلاف المعاونين للجيش يريدون مغادرة العراق لأنهم خائفون على حياتهم. لم تكن أبداً طلبات اللجوء كثيرة بمثل هذا العدد لأنه يُخشى من انسحاب مسرع، غير أن تصاريح الدخول للأراضي الأمريكية دائماً مرفوضة "لأسباب أمنية". باختصار، أخشى ما أخشاه، إذا صح التعبير، أن يصبح "خونة" الأمس "عملاء مزدوجين" أو "انتحاريين" في الغد....

كشاف الموضوعات

التواصل، ٢، ٤، ١١، ٢٠، ٢١،
٦٠، ٧٠، ٩١، ١١٤، ١١٧،
١٢٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣،
١٥٠، ١٧٥، ١٧٧، ١٩٣،
ترجمة، ٤، ٥، ١٦، ٢٣، ٢٨، ٢٩،
٣٨، ٦٥، ٧٦، ٨٨، ١٠٢،
١٠٨، ١٠٩، ١١٤، ١١٥،
١١٦، ١١٨، ١٢٠، ١٢٥،
١٢٨، ١٤٠، ١٤٧، ١٥٠،
١٥١، ١٥٣، ١٥٨، ١٧٣،
١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨،
١٧٩، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٨،
١٨٩، ١٩٢، ١٩٩، ٢٠٠،
٢٠٤

أ

احتلال، ٣١، ٧٦، ٨٤، ٩٩، ١٤١،
١٨٥
أمانة، ٨، ٦٥، ٩٤، ٢٠١، ٢٠٥
أمريكيون، ٥٦، ٧٧
انتحاري، ١٩، ٣٠، ٣٦، ٤٧،
١٧٠، ٢١٢

ت

التأهيل، ٢٧، ٤٠، ٩٤، ١٣٠،
١٣٤، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩،
١٤٢، ٢٠٩
التدخل العسكري، ٢٤
تقنية، ١٠٦، ١٠٩

١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،

١٨٧ ، ١٩٣ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩

ث

ثقافة ، ٦٠ ، ٨٨ ، ٩٥ ، ٩٧

خ

الخيانة ، ٥ ، ٢٦ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٥٣ ،

٦٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥

خائن ، ٣٢ ، ١٤٤ ، ١٩٦

خطأ ، ٣٠ ، ١٦٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩

خونة ، ٨ ، ٣١ ، ٤٠ ، ٥٢ ، ٦٥ ، ٧٢ ،

١٤٢ ، ١٤٣ ، ٢١١ ، ٢١٢

ج

الجهل ، ٢٥

جواسيس التحالف ، ٥٦

جنود ، ٥ ، ١٤ ، ١٩ ، ٥٤ ، ٦٤ ، ٦٩ ،

٧١ ، ٧٧ ، ٨٩ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ،

١١١ ، ١١٤ ، ١٢٨ ، ١٤٠ ،

١٩٩ ، ٢٠٨

ح

حرب الخليج ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٤ ،

٣٥ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ١١٢ ، ١٣٧

حرب ، ٢ ، ٤ ، ١٥ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٣ ،

٣٤ ، ٣٥ ، ٤٨ ، ٦٦ ، ٧٣ ،

٧٧ ، ٧٨ ، ٨٦ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ،

١٠٦ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٢٥ ،

١٢٦ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،

١٤٥ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٩ ،

١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،

د

ديكتاتورية ، ٣٧ ، ١٨٣

ديمقراطية ، ٢ ، ٥ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٥ ،

٢٦ ، ٥٥ ، ٩١ ، ١٢٣ ، ١٤١ ،

١٧٨ ، ١٩١ ، ١٩٥ ، ١٩٧

ر

راتب ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٩٨

٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦ ،
٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ،
٦٤ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ،
٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ،
٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ،
٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ،
٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٣ ،
١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٠ ،
١١١ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ،
١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،
١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،
١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،
١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ،
١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،
١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ،
١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،
١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ،
١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،
١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ،
١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ،
١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩١ ، ١٩٣ ،

س

سياسة، ٢٧ ، ٨٠ ، ١٨٣

ش

الشرف، ٤٢

شهيد، ١٩٩

ص

صحافي، ١٧ ، ١٥٢ ، ١٧١ ، ١٨١ ،

١٨٣ ، ١٨٤

ض

ضحايا الحرب، ٣ ، ٧٥ ، ٧٧

ع

العراق، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٣ ،

١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ،

٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ،

٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ،

٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٦ ،

اللغة العربية، ٤، ١٥، ١٩، ٢٠،
 ٢٧، ٣٩، ٤٣، ٤٧، ٦٢،
 ٨٨، ٩٣، ٩٤، ١٠٦، ١٢٩،
 ١٣٤، ١٣٥، ١٥٤، ١٥٥،
 ١٦٠، ١٦٢، ١٦٧، ١٧٧،
 ١٧٨، ٢٠١،
 لغة، ١٦، ٢٦، ٣٥، ٧٢، ٨٦،
 ١٠٥، ١٠٨، ١١٣، ١٢٠،
 ١٢٨، ١٢٩، ١٣٦، ١٥١،
 ١٦٠، ١٧٤، ١٧٦، ١٩١،
 ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٣،
 اللغوي، ٢٣، ٣٣، ٧٤، ٧٧، ١١٢،
 ١١٩، ١٢٠، ١٢٧، ١٣٤،
 ١٣٥، ١٦٣، ١٨٠،
 ١٨٧، ١٩٠،
 ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨،
 ٢٠٠، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٢،
 عراقيون، ٣٢،
 عسكري، ٢٣، ٢٩، ٥٩، ٧٤، ١١٩،
 ١٣٩، ١٩٧،
 عقود، ٢٣، ٦١، ٧٣، ٩٩، ١٠٣، ١٠٨،
 عميل، ٤١، ٦٩، ١٤٤،

ق

قوات، ٥، ٨، ٩، ١٣، ٣٩، ٤٠،
 ٤٥، ٧٥، ١٢٩، ١٣٦، ١٤١،
 ١٤٣، ١٥٢، ١٩٧، ٢٠٠،
 ٢٠٥،
 ق

ك

الكفاءة، ٢، ٢٢، ٨٧، ٩٦، ١٧٨،

و

وزارة الدفاع الأمريكية، ٧٦، ١٠٢،
 وكالة الاستخبارات الأمريكية، ٢٠، ٥٣،
 ١٠٧، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦،
 الولايات المتحدة الأمريكية، ٢، ٨، ١٩٠،

ج

لغات أجنبية، ١٨٨،
 اللغة الإنجليزية، ٢٧، ١٠٦، ١٢٠،